Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إليه، ولا حالاً إلا حال عليه، ولا فرساً إلا افترسه، ولا سيداً إلا إستبد به، ولا لبداً إلا لبد فيه، ولا بزةً إلا بزها ولا عارية إلا ارتجعها، ولا وديعة. إلا انتزعها، ولا خلعة إلا خلعها، وأنا أدخل نيسابور، ولا حلية إلا الجلدة، ولا بردة إلا القشرة.

ومن ذلك أيضاً قوله في تفضيل العرب على العجم: (العرب أوفى وأوفر، وأوقى وأوقر، وأنكى وأنكر، وأعلى وأعلم، وأحلى وأحلم، وأقوى وأقوم، وأبلى وأبلغ، واشجى وأشجع، وأعطى وعطف، وألطى والطف، وأحصى وأحصف، وأنقى وآنق، ولا ينكر ذلك إلا وقح وتح ولا يجحده إلا نفل نفر».

ونعود فنقول: ليست هذه صفة البديع في إبداعه، وإنما هي نزوة قلب، ورياضة عقل، وخطرة نفس وشطحة قلم، نمسك عنها القلم إنصافاً لمن أطراه الحريري والثعالبي والحصري، وقد رأينا ما ذكره الحريري أما الثعالبي فيقول:

بديع الزمان معجزة همذان، ونادرة الفلك، وبكر عطارد، وفرد الدهر... لم ير، ولم يرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسره وجاء يمثل إعجازه وسحره، فإنه كان صاحب عجائب، وبدائع وغرائب، فمنها أنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط، وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها، ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يخرم حرفاً، ولا يخل معنى... ... ... ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر، فيرتجله في أسرع من الطرف، على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه، وكلامه كله عفو الساعة، وفيض اليد، ومسارقه القلم ومسابقة اليد للفم...[1].

ويقول الحصري: «وهذا اسم ـ أي البديع ـ وافق مسماه، ولفظ طابق معناه، كلامه غض المكاسر، أنيق الجواهر، يكاد الهواء يسرقه لطفاً، والهوى يعشقه ظرفاً...»[2].

---

(١) اليتيمة «ط دمشق» جـ ٤/١٦٧، ومعجم البلدان جـ ٢/١٦٣، ١٦٤.
(٢) زهر الآداب (ط ١/٣٠٧).